اثر الزواج في توثيق علاقات المغول المحلية الدولية

م .د صفاء شارد الركابي
كلية الآداب / جامعة ذي قار

ملخص

شرع الله عز وجل الزواج وجعله وسيلة للتعارف والتقارب بين الناس فالأمة هي مجموعة من الأُسَر، تترابطُ فيما بينها بمبادئ، وقوانين، وأعراف، وتقاليد، تتفاوتُ آثارها بين الأمم؛ تبعًا لتفاوتِها في درجات المعرفة والثقافة. فالزواج عماد الأسرة وبه تتمكن من إقامة علاقات جديدة تحدد أهميتها من خلال أهداف ذلك الزواج فالمغول اتخذوا من الزواج وسيلة لضمان مستقبلهم وتحقيق طموحاتهم لذا فان دراسة هكذا الموضوع يعد من الأمور المهمة لأنه يكشف لنا الطريقة التي تنامت بها قوتهم ،لاسيما ان اغلب زيجاتهم قامت على أساس المصالح السياسية ، فهم يصاهرون القبائل ذات النفوذ القوي . .

تضمن البحث توطئة تضمن التعريف بالمغول وأصلهم وموطنهم ومن ثم محورين الأول (اثر الزواج في توثيق علاقتهم مع القبائل المغولية) منها قبيلة التتار والقونقرات والاويرات،و الكرايت ،و المركييت ، بينما ركز المحور الثاني على (اثر الزواج في توثيق علاقات المغول الخارجية) مع كل من إمبراطورية الصين، والفرس، والمماليك وأوربا.

Summary:

Allah, may He be glorified and exalted, legitimate marriage and make it a means of acquaintance and convergence between people. Nation is a group of families, that interrelated in principles, laws, customs and traditions which their effects vary among nations due to their levels variation of knowledge and culture. Marriage is the pillar of the family; with marriage you can make new relations, its importance is determined by marriage goals. Mongols took the marriage as a means to ensure their future plans and to achieve their ambitions. So the study of such a subject is very important because it reveals to us how their strength grew, since most of their marriages were based on political interests, they make affinity with the powerful tribes.

The research included an introduction that included an identification, origin and habitat of Mongols. Then two chapters, first chapter is (marriage effect in the documentation of their relations with Mongols tribes) including Tatars, Qongirats, Keraites, Oriats and Merkits tribe. While the second chapter focused on (marriage effect in the documentation of Mongols' foreign relations) with Empire of China, Persians, Mamluk Sultanate and Europe.

توطئة :-

المغول هم قبائل بدوية كانت تستوطن هضبة منغوليا شمال صحراء جوبى إذ تمتد من أواسط أسيا جنوبي سيبيريا وغربي منشوريا وشمال التبت وشرقي تركستان[١]،يتميز هذا الإقليم ببيئة مناخية قاسية إذ تصل درجة الحارة فيه صيفاً إلى ٤٥ درجة مئوية في حين تصل إلى ٣٥ تحت الصفر شتاءً [٢]،كما ان نسبة الإمطار الساقطة على أراضيهم كانت قليلة فغلب على بلادهم طابع الجفاف وقلة المحاصيل مما جعلهم يعتمدون في معيشتهم على الترحال وكانوا يتنقلون من مكان إلى آخر سعيا وراء المراعي فأينما وجدوا مصدر رزق لهم ولماشيتهم استقروا فيه، فلذلك ليس غريبا في ما بعد ان تراهم يوصفون بالغزاة،وخاصة ان طبيعة بلادهم أثرت في تكوينهم ، إذ جعلتهم خشني الطباع وجعلت مراسهم صعباً ،ومكنتهم من امتلاك القدرة الفائقة على التحمل ،وهي صفات حققت لهم الكثير من الانتصارات على أعدائهم ، إذ كان هناك حالة من الصراع بين القبائل المغولية ،فكل واحدة منها تسعى إلى الاستيلاء على ما في أيدي الأخرى ومن ثم السيطرة على بقية القبائل [٣].

شكل المغول تحالف يضم عدة قبائل انتشر في مناطق أسيا الوسطى ترجع في جذورها الأولى إلى أصول متعددة كالترك والتتار والمغول، أصبحت هذه القبائل فيما بعد نواة للشعب المغولي الذي برز على الساحة منذ القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي وأصبح منذ ذلك التاريخ يعرف بذلك الاسم[٤].

أما طبيعة حياتهم الاجتماعية وطريقتهم في الزواج فإنها بدائية متخلفة إذ كان لا يسمح لهم اختيار الزوجة من داخل التكتل إنما يجب على الرجال اختار زوجه من تكتل آخر يرتبط به النسب،ساعدهم هذا الأمر في الاعتماد على الزواج في تقوية علاقاتهم مع القبائل الأخرى لاسيما ان مسالة تعدد الزوجات كانت مطلقة عندهم ،إلا ان المكانة البارزة تبقى للزوجة الأولى اذ لها مكانتها الخاصة، لذلك اتبع المغول أساليب عدة لتوثيق علاقاتهم مع القبائل المعادية لهم ومن بين تلك الأساليب اللجوء إلى الزواج السياسي وهو زواج القائم على أساس المصالح لكلا الطرفين أو لأحدهم [٥]،وهو أمر اعتادوا عليه في العصور السابقة ،إذ لم يكن للمرأة الحق في اختيار شريك حياتها إلا فيما ندر ولذلك اتخذ الملوك من بيدهم الحل والعقد زواج أبنائهم أو بناتهم وسيلة معتادة مألوفة لدعم الروابط بينهم وبين غيرهم على النحو الذي يتوقعون وهذا ملحوظ في زواج الأمراء والأميرات الذي يقضى بالضرورة إلى دعم الروابط بين دولتين[٦] .

ويبدو ان السبب الذي دعاهم إلى اعتماد أسلوب الزواج القائم على أساس مصالح سياسية ، يكمن في عدم امتلاكهم القوة الكافية لتحقيق أهدافهم لاسيما في بداية تكوين دولتهم ،لذا عمدوا إلى التحالف مع القبائل القوية متخذين من الزواج وسيلة لتحقيق ذلك في سبيل زيادة قوتهم ،فضلاً عن رغبتهم لضمان ولاء تلك القبائل لهم [٧].

لذا فان المتتبع لتاريخهم يرى مدى استثمارهم لمنظومة الزواج لإغراض سياسية واجتماعية من خلال تعدد الزوجات ومن قبائل متعددة ،هذا من جهة ومن جهة أخرى كان اهتمامهم بمصاهرة القبائل القوية مدعاة لتفاخر الاجتماعي في النسب[٨]إذ أشار القلقشندي إلى ذلك بقوله :"من رسم المغول تعظيم الولد بنسب والدته ..." [٩]، إذن فهم يرون في مصاهرتهم للقبائل القوية و المتنفذة مفخرة لهم ولأبنائهم. لذا تجد اغلب حكامهم قد تزوجوا أكثر من زوجه ومن قبائل عدة. لاسيما انه جاء في تعاليمهم الخاصة (الياسا) [١٠]قوانين ساعدت على ذلك ،إذ نصت على ان يتزوج الخان بمن يشاء من النساء وكان يأخذ بمبدأ تعدد الزوجات،وكانت العادة المتعبة عندهم انه إذا ما تغلب ملك أو أمير على زعيم إحدى القبائل عقد معه اتحاداً أو تحالفاً يضمن له الحق بالزواج من ابنته أو أخته أما إذا تغلب عليه وقتله فيحق له ان يتزوج من امرأته [١١] نلحظ ان كل ذلك كان يصب في مصلحة المغول إذ جعل اغلب القبائل تخضع لهم وتحسب لهم إلف حساب .

ونتيجة لتنامي قوة المغول بعد بسط نفوذهم على القبائل التابعة لهم أخذت ظاهرة الزواج السياسي تظهر بشكل جلي ،إذ كانت بعض المصاهرات تحدث نتيجة لسطوتهم على القبائل التابعة لهم فقد اعتاد المغول على الزواج من خارج قبيلتهم ،ولم تكن لديهم طريقة معينة للارتباط كما اشرنا إلى ذلك في تعاليمهم (الياسا) فأحيانا يكون عن طريق التراضي وأحيانا عن طريق الاختطاف وقد يكون الزواج الأخير لا يمثل المصاهرة السياسية إلا انه كان وسيلة اتخذها المغول لإرغام القبائل على طاعتهم [١٢] .

أولا: اثر الزواج في توثيق علاقتهم مع القبائل المغولية

اتسم تاريخ المغول بكثرة الحروب مما انعكس جلياً على أوضاعهم الاجتماعية فكان من نتيجة تلك الحروب ارتباط المغول بعدد كبير من القبائل مما زاد ذلك من قوتهم لاسيما ان تلك الحروب يتبعها مصاهرة سياسية بينهم وبين القبيلة المنازعة لهم ،وكان المغول يسارعون إلى المصاهرة بغية تجنب الخطر الذي يداهمهم من بعض القبائل التي تميزت بالقوة والنفوذ [١٣] ومن تلك القبائل:

١-قبيلة (التتار) [١٤]

كان التتار على عداء مستمر مع المغول وكانوا قد تحالفوا مع الصين ضدهم ،الأمر الذي تطلب من المغول البحث عن طريقة تمكنهم من حسم هذا النزاع وضمان ولاء التتار لهم ،فوجدا ان أفضل طريقة لتحقيق ذلك هي مصاهرتهم ظناً منهم ان ذلك يقلل خطر أعداءهم ،ولعل أول محاولة هي مبادرة الخان المغولي (امباقي) الذي أراد ان يضع حداً للخلاف بين المغول والتتار فسعى إلى التحالف معهم عن طريق المصاهرة[١٥]غير ان الحقد الذي كان بين المغول والتتار كان اكبر من تذيبه مثل تلك المصاهرة ،فعندما توجه امباقي ومعه ابنته إلى بلاد أصهاره التتار قامت قبيلة (جويتز) التتارية بإلقاء القبض عليه شخصياً [١٦].فلم يكتب لهذه المحاولة النجاح ، الا أنها مع ذلك دليل واضح على نوايا المغول السليمة ورغبتهم في التقرب إلى التتار عن طريق المصاهرة .

٢- قبيلة القونقرات

تمتعت هذه القبيلة بالقوة والنفوذ وعُرفت بصراعها المستمر مع المغول[١٧]،كانت تقف حائلا أمام رغبة يسوكاي والد جنكيز خان بالتوسع والسيطرة ،لذا وجد يوسكاي ان أفضل وسيلة للحد من نفوذه هذه القبيلة هي أقام علاقات أسرية متمثلة بالزواج من إحدى فتياتها ،فتوجه خاطباً لابنه جنكيز خان فتاة تدعى بورتي وهي ابنة ويسشين زعيم هذه القبيلة ،اشتهرت بورتي بالقوة والشجاعة وخوضها المعارك إلى جانب والدها ،فقد كانت تخرج معه للحرب مع القبائل الأخرى ،ولهذا اختارها يسوكاي زوجة لابنه وتمت الخطبة الا ان وفاة يسوكاي حالت دون إتمام أمر الزواج بعد ان انفضت عنه القبيلة وترك لوحده يواجه مصاعب الحياة ،الا ان بورتي رغم انقطاع جنكيز خان عنها وغيابه لمدة طويلة بقيت محافظة على وعدها له بان تكون مخلصة له في حضوره وفي غيابه وحافظت بورتي على تلك الخطبة لأكثر من سنتين حتى عاد جنكيز خان لقبيلته القونقرات مطالباً بخطيبته التي طال انتظارها لزوجها الموعود فتم ذلك الزواج وحملت بورتي الى مضارب خيام جنكيز خان لتكون أول امرأة احتلت مكانة الصدارة في قلب جنكيز خان[١٨]،

شكل هذا الزواج منعطفا مهماً في حياة جنكيز خان فقد انتهى على أثره الصراع القائم بين القبيلتين بعد ان نجح جنكيز خان في كسب عروسه التي طال انتظارهُ لها كما حصل بفضل هذا الزواج على تحالفا مع أهم القبائل في منغولية إلا وهي قبيلة زوجته بورتي القونقرات التي مدته بالقوة والعدد للوقف إلى جانبه ضد القبائل الاخرى [١٩]،وهكذا أصبحت هذه القبيلة فيما بعد جزءاً من قوة تموجين(جنكيز خان) وظهر من نسلها العديد من القادة المغول[٢٠] .

وسار أبناء جنكيز خان على هذه السياسة إذ تزوج ابنه جوجي من قبيلة قونقرات

وكذلك ابنه أورده الذي تزوج بثلاث زوجات من هذه القبيلة ،فضلا عن أولاد هولاكو الذين تزوجوا عدة زوجات من هذه القبيلة [٢١]،مما يدل على رغبة المغول في التقرب الى هذه القبيلة وكسب ودها عن طريق الزواج من بناته

٣- قبيلة الاويرات[٢٢]

حظيت قبيلة الاويرات بشهرة واسعة من بين قبائل المغول نظراً لما تمتلكه من قوة ونفوذ ،لذا سعى جنكيز خان إلى توثيق صلته بها عن طريق الزواج [٢٣]لاسيما ان أخواله ينتسبون إليها ،وسبب هذا الانتساب أنها كانت اسبق القبائل في إظهار تبعيتها للمغول إبان ظهور قوة جنكيز خان ،وكانت سباقة في إظهار المساعدة والمساندة له ،فصدر منه فرمان ينص على مراعاة حقوقها ،وان تزوج بناتهم بأمراء الأسرة المغولية المالكة فتأصر النسب بين الطرفين ،واختار جنكيز خان لنفسه إحدى بناتهم ،واقبل العديد من الأمراء على اختيار زوجاتهم من هذه القبيلة فتوطدت بذلك العلاقات بينهم [٢٤] .

وكان هولاكو قد اتخذ لنفسه زوجات و محضيات كثيرات ،ومنهن المشهورات اللاتي وصلن إليه عن طريق أبيه بحكم تعاليم (الياسا) التي جاء فيها ان يرث الابن زوجات أبيه ،أو اللاتي تزوجهن بنفسه[٢٥]إلا ان أولى زوجاته وهي كويك خاتون كانت من قبيلة الاويرات وهي ابنه تورالجي كوركان وأمها ابنة جنكيز خان التي تسمى جيجكان ،كما تزوج هولاكو من أختها اولجاي خاتون ابنة تورالجي ولكنها من أم أخرى [٢٦] .

وصاهر خدا بنده (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م) هذه القبيلة أيضا فقد تزوج من (حاجي خاتون)ابنة سولاميش بن تنكيز كوركان[٢٧].

يبدو ان السياسة التي اتبعها المغول في التقرب لهذه القبيلة عن طريق الزواج جاءت بنتيجة طيبة إذا توثقت العلاقات بين الطرفين بفضل ذلك .

٤-قبيلة الكرايت [٢٨]

كانت قبيلة الكرايت من القبائل المغولية المسيحية التي يحسب لها إلف حساب ،اذ دخلت مع جنكيز خان في عدة حروب لكنه تمكن من إخضاعها وادخلها في طاعته [٢٩]وعقد معها تحالفا عن طريق الزواج ،وأصبح هذا التحالف قويا بعد هذا الاتحاد العائلي بين الزعيم المغولي جنكيز خان وبين جامكو أخي لونك ملك قبيلة الكرايت [٣٠] كما اختار جنكيز خان لابنه تولوي إحدى أميرات هذه القبيلة وهي (سيورقوقيتي بيكي) [٣١]لم يحتفظ جنكيز خان بزوجته الأميرة الكرايتية (باقا – بكي) طويلا إذ انه أهداها إلى صديقه (جورشيداي) وكان السبب في عدم احتفاظه بها انه تأثر بحلم كان أشبه بكابوس بالنسبة له فقد رأى في ذلك الحلم إنذار له من السماء وعندما استيقظ وجد (اباقا . بيكي) نائمة بقربه فتشائم منها واخبرها ان الإله تيجري لشخص أخر بالفعل منح جنكيز خان زوجته مع كل ما تملك من أموال وخيول وذهب إلى صديقه جورشيدي [٣٢].

أما أختها (سيورقوقتي) فقد بقيت زوجة ابنه تولولي وكانت أحب نسائه وأم أبنائه المعتمدين الأربعة ،وكان زوجه بها قد تم بناء على رغبه أبيه جنكيز خان في تحقيق مصاهرة سياسية مع ملك الكرايت[٣٣]، وقد وصفت سيورقوقيتي بيكي بالعقل والعفة والكفاية[٣٤]ونالت مكانة مرموقة بين أفراد الأسرة الحاكمة ،حتى بعد وفاة زوجها ،فقد تولت الإشراف على معظم الأمراء والجيش الذي كان يشرف عليه جنكيزخان وتولولي[٣٥]،ووجهته بالطريقة التي تخدم مصالح ابنها الخان الجديد هولاكو وإخوته في عملهم السياسي والعسكري ،وكان معظمهم لا يخالف أوامرها [٣٦] .

وبما ان سيورقوقيتي كانت تدين بالنصرانية ،كما هو حال قومها الكرايت فقد أدى ذلك دون شك الى ميل ابنها هولاكو نحو هذه الديانة ،وتقريبهُ لأتباعها ،إلا انه مع ذلك ظل وثني المعتقد على ما كان عليه أجداده المغول [٣٧] ، فكانت أمه حامية قوية للكنائس المسيحية وان الشعبية التي تمتعت بها الديانة المسيحية في الإمبراطورية المغولية في الصين وإيران كما في أواسط أسيا ترجع إلى حد بعيد إلى تأييد تلك الإمبراطورة التي كانت من أصول كرايتيه[٣٨] أنجبت سيورقوقيتي فضلاً عن هولاكو ثلاثة ابناء[٣٩] ، وقد تزوج هولاكو من قبيلة الكرايت ايضا وكانت زوجته دقوز خاتون وهي ابنه ايقو الابن الثاني لاونك خان ملك قوم الكريت ورغم ان هولاكو تزوج بخمسة نساء قبلها الا ان أيا منهن لم تكن عنده بمنزلتها ،حتى انه لم يتزوج بامرأة اخرى بعدها[٤٠] ، ولما كانت تدين بالمسيحية فقد كان لها اثر ظاهر في توجيه سياسة هولاكو في محاباة النصارى[٤١].

يبدو ان هولاكو في كل زيجاته لم يخالف قومه في عدم تشجيع الزواج داخل القبيلة الواحدة[٤٢] الا ان هذا لا ينفي في ان يكون وفر دافع الرغبة بالمصاهرة بين أمراء القبائل المتنفذة كان يقف وراء هذا العدد الكبير من الزيجات لضمان استمرار ولاء أمراء القبائل للأسرة الحاكمة .

وتزوج ارغون حفيد هولاكو من (اوروك خاتون)وتنتمي أصلا إلى قبيلة الكرايت وهي أخت الأمير (ارنجين)وابنه أخي الملكة (دقوز خاتون)وهي مسيحية نسطورية ،ويبدو ان أواصر العلاقة بين الغرب والمغول قد توثقت بعد هذا الزواج والذي يؤكد لنا ذلك ان البابا المسيحي كان يرسل الهدايا إلى الأميرات المسيحيات المقيمات في بلاط ارغون [٤٣] ولعل ذلك تعبيراً منه عن شكره لهن على ما بذلنه من جهود لتحويل أنظار المغول إلى بلاد الإسلام ،فضلا عما قمنَّ به من ضمان حماية الرعايا المسيحيين في بلاد المغول.

٥-قبيلة المركييت

تعد هذه القبيلة من القبائل المغولية القوية ،وكانت تستقر في منغوليا ،يجاورها قبيلة الاويرات من الجنوب ،وكانوا شعبا قويا وذووا نفوذا كبير ،عرف عنهم بميلهم للشغب والحروب،ولقب زعمائهم بلقب باكي او (بكي) دخلت هذا القبيلة في طاعة جنكيز خان مع بقية القبائل الاخرى [٤٤]،وتوثقت العلاقة بهذه القبيلة عن طريق الزواج اذ تزوج كيوك خان من إحدى نساء هذه القبيلة وهي اوغول غايميش او اوقول قيميش ، وأم أولاده ناقو (ت٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) وخواجه اغول ،كانت اوغول تدين بالديانة المسيحية[٤٥].والذي يهمنا من ذلك هو اثر هذا الزواج في توثيق العلاقة بين القبيلتين من اجل تحقيق مصالح سياسية ،فضلا عن ذلك ساهم هذا الزواج في تحول بعض امراء المغول الى الديانة المسيحية.

ثانيا: اثر الزواج في توثيق العلاقات الخارجية

بعد ان امتد نفوذ المغول خارج حدود دولتهم سعوا إلى تقوية علاقاتهم مع بعض الدول المحيطة بهم بعدة طرق وكان الزواج احدها،وكانت اغلب تلك الدول تنظر لهم بنظر الريبة والحذر وتطمع إلى التقرب منهم وتطلب ودهم مخافة السيطرة عليهم من قبلهم فأقيمت نتيجة لذلك مصاهرات على الصعيد الخارجي بينهم وبين عدد من الدول منها:

اولا:إمبراطورية الصين

كانت إمبراطورية الصين تناصب العداء للمغول ،وقد سعت إلى التحالف مع التتار ضدهم رغبة في إضعافهم ،لكن ما ان تهيئة أسباب القوة للمغول حتى أرسل جنكيز خان حملة إلى إقليم التانجوت حيث المملكة الصينية وتمكن من إخضاعهم وعادت هذه الحملة محملة بالغنائم(٤٦)،وعندما تجددت الحرب معهم وجد جنكيز خان ان هؤلاء لن يتنازلوا عن عرشهم فاقترح عليهم ان يقدموا له مقابل انسحابه الهدايا الثمينة ،فضلا عن النساء الفاتنات ،وغلمان جاوز عددهم الخمسمائة ،ولم يكتف بذلك بل طمع بالمزيد لكي يضمن ولاء الإمبراطور له اذ طلب منه ان يرسل زوجة من أسرة الإمبراطور ،فلم يعترض الإمبراطور على هذا الطلب وأرسل له أميرة من أسرة كين ،فعاد جنكيز خان مع زوجته إلى بلاده (٤٧)،يتضح لنا مما تقدم ان غرضه من هذا الزواج إقامة علاقة ذات أواصر قوية بين البلدين تضمن خضوعهم له وعدم خروجهم عن طاعته .

ثانيا : الفرس

خضعت بلاد فارس إلى السيطرة المغولية بعد ان تمكن هولاكو من القضاء على الدولة الخوارزمية (٤٨)، اتبع هولاكو وأسرته الأساليب والنظم التي سار عليها سلاطين الفرس من قبل وكان ينظر إليهم وكأنهم طبقة من سلاطين هذه البلاد(٤٩)،وأشار القلقشندي (ت ٨٢٤هـ/١٤٢٠م)إلى مدى التوافق والانسجام مابين المغول والفرس بقوله:"ان أهل هذه المملكة من التتار(المغول) كانوا قد دخلوا العجم وزوجوهم وتزوجوا منهم وخلطوهم بالنفوس في الأمور فتضخمت قواعدهم وجرت على عوائد الخلفاء والملوك في غالب الأمور قوانينهم"(٥٠).

نستدل من هذا النص على نوع العلاقة التي نشئت بينهم والتي قامت على أساس الارتباط العائلي الذي زاد من قوة المغول واتساع قواعدهم لاسيما بعد ان صاهر منكو تمو وهو احد أبناء هولاكو – الفرس إذ تزوج من اتش خاتون ابنة الاتابك سعد الثاني بن أبي بكر اتابك فارس فكان من نتيجة هذه المصاهرة ان أصبح إقليم فارس تحت حكم المغول (٥١)وكان من نتيجة مصاهراتهم مع الفرس ان أصبح البلاط المغولي يضم الكثير من المسلمات اللاتي كان لهن دوراً وتأثيراً على الأمراء المغول فنرى ان كثيراً منهم تحولوا إلى الإسلام واعتنق منهم الإسلام قبل ان يصبح للمغول دولة إسلامية. (٥٢)

ثالثا:المصاهرات مع أوربا

حرص هولاكو على التحالف مع الغرب رغبة منه في إحكام قبضته على الترك في الأناضول والسيطرة عليهم [٥٣]ولم يكن تحالف نابعاً من كرهه للإسلام بقدر ما كان نابعا من الخوف من التحالف الذي تم بين مصر ومغول القفجاق[٥٤].

ويبدو انه وجد ان أفضل وسيلة لتحقيق ذلك التقارب هي مصاهرتهم لذا بدأت المفاوضات من اجل اختيار فتاة من أسرة الإمبراطور بالقسطنطينية ليتزوج منها،وقد اختار له الإمبراطور ميخائيل باليولوجوس إحدى بناته وكانت غير شرعية (ماريا) [٥٥]،ولعل غايته من ذلك الا يكون لأولادها حق في وراثة عرش الدولة البيزنطية .

توجهت ماريا إلى تبريز وكان يرافقها البطريك بوثيموس ،وما ان وصلت إلى بلاط المغول حتى سمعت بوفاة هولاكو فتزوج منها ابنه اباقا خان ،وقد اظهر له الاحترام وعرفت بين المغول باسم (ديسين خاتون)كان من نتائج هذه المصاهرة ان تحول اباقا خان إلى الديانة المسيحية بناء على رغبة زوجته ،لاسيما أنها كانت مسيحية متعصبة لديانتها ،وأقامت لها كنيسة في تبريز ،فضلا عن ذلك أدت هذه المصاهرة إلى التقارب بين السلطان والمسيحيين ،كما صار هذه العلاقة وسيلة للارتباط بينه وبين ملوك أوربا والبابوات،وعقد معهم معاهدات ضد الممالك الإسلامية[٥٦].

ويبدو ان العلاقات قد توثقت بين المغول والدول الأوربية فقد تزوج الأمير الروسي بيلوزرسك من إحدى أميرات مغول القفجاق كما تزوج كبير الأمراء جورج من أخت خان القبيلة الذهبية اوزبك وقد اعتنقت الديانة المسيحية وأصبح اسمها اجات،وتزوج محمد اوزبك خان (٧١٢-٧٤٢هـ/١٣١٣-١٣٤٢م) [٥٧] لكنها لم تنسجم مع مسلمي المغول فآثرت العودة إلى بلادها[٥٨] .

نلحظ ان اعتناق مغول القفجاق الإسلام لم يمنعهم من مصاهرة مسيحي الغرب لان غايتهم من ذلك الزواج هي تحقيق مكاسب سياسية ،كما أنهم لم يتمكنوا من إقناع الأميرة المسيحية بترك دينها والتحول إلى الإسلام بينما تحول بعض المغول إلى الديانة المسيحية بعد المصاهرة معهم .

المصاهرات مع المماليك

اتخذ الزواج السياسي عند المغول لتوثيق علاقتهم مع المماليك مظهرا أخر تمثل برغبة الطرفين في التعاون ضد أعدائهم ،وبدأ هذا التقارب بعد ان تحسنت العلاقات بين الطرفين على اثر إسلام مغول القفجاق[٥٩].

بما ان المماليك كانوا يشكلون قوة كبيرة آنذاك حاول السلطان المغولي التقرب إليهم وضمهم إلى صفه في حربه مع المغول الايلخانين ،وذلك بعد ان تمادى هولاكو في قتله للمسلمين عند دخوله بغداد. [٦٠]

إما أهم الأسباب التي دعت المماليك للتقرب من المغول ومصاهرتهم فكانت نتيجة خوفهم من امتداد نفوذ مغول فارس إلى ممتلكاتهم ،لذا بدأ التقرب بين الطرفين عن طريق الزواج إذ تقدم السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م)بطلب المصاهرة مع المغول فوافق السلطان بركة خان على طلبه ،وقد أشار احد المؤرخين إلى رغبة بركة خان بالتقارب مع المماليك بقوله:" وخطب إليه السلطان فزوجه بنته تقرب إليه[٦١]"

وتوثقت العلاقات المغولية المملوكية بشكل اكبر في زمن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ،لان والدته خوند اشلون خاتون كانت من أسرة مغولية عريقية النسب ،إذ وصلت خوند مع أبوها الأمير سكناي بن قراجين[٦٢]إلى القاهرة سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) فتزوجها السلطان قلاوون وأنجبت له الملك الناصر محمد الذي سعى بدوره الى مصاهرة المغول فتزوج اثنين من المغوليات ،احدهما تدعى خوند ادركين أخت الأمير جمال الدين نوكاي ،وكانت متزوجة من أخيه الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما توفى عنها زوجها تزوجها الملك الناصر إلى ان ماتت [٦٣]،ويبدو ان هدفه من ذلك الزواج المحافظة على العلاقات الوثيقة بين الدولتين .

وكانت طولونية او (دلبنية)هي الزوجة المغولية الأخرى للسلطان الناصر محمد ،وهي بنت طغاي بن هندو بن باطو بن دوشي بن جنكيز خان وأخت اوزبك خان أرسل الناصر محمد يخطب دلبنية من اوزبك خان،ويبدو ان اوزبك لم يكن موافقا على تلك الخطبة ،اذ بين احد المؤرخين موقفه منها بقوله :"فاشتط اوزبك في طلب المهر وطول المدة وكثر الشروط،فاعرض السلطان عن الخطبة [٦٤].ومن ثم تقدمت الوفود على اوزبك خان محملة بالهدايا المرسلة من قبل السلطان الناصر ،مما اضطر اوزبك إلى تغيير موقفه وقبل بهذه المصاهرة وتم الزواج وبدا التعاون المشترك لتحقيق مكاسب سياسية لكل منهم[٦٥].

وتنقلت السفارات بين الدولة المغولية الايلخانية والدولة المملوكية لرغبة كل من الدولتين بإقامة علاقة تقوي الصلات بينهما وتمثلت بالزواج السياسي،ففي سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٢م)أرسل أبو سعيد بن محمد خدابنده وفداً إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يسأله ان يزوج ابنته من الأمير جوبان نائب السلطة فاعتذر السلطان لصغر سنها قائلاً:" إذا صلحت للتزوج اجبنا سؤالكم ان شاء الله تعالى[٦٦]"

جدد المغول طلبهم من السلطان الناصر بعد ثلاث سنوات لكن الوضع لم يكن مناسبا لانشغال المماليك بأمورهم الداخلية،وفي سنة(٧٢٩هـ/١٣٢٨م)قدم وفد من الايلخان أبي سعيد على رأسه رسول يسمى (تمربغا) إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون وطلب منه ان الموافقة على تزويجيه إحدى بناته فوافق السلطان على طلبه واشترط عليه شروط لإتمام العقد منها ان يكون مهرها أعمال ديار بكر[٦٧].، مما تقدم يتضح لنا رغبة المغول في توثيق علاقتهم بالمماليك عن طريق الزواج .

الخاتمة

١-اتضح لنا رغبة المغول في مصاهرة القبائل ذات القوة والنفوذ بهدف ضمان ولائهم والاستفادة منهم في مواجهة أعدائهم،اذ كان من نتيجة الزواج السياسي مع القبائل المغولية ان أصبح المغول أكثر قوة وعدد بعد ان دانت لهم تلك القبائل .

٢- أفادت تعاليم الياسا المغول في تحقيق غايتهم لما تضمنته من قوانين شجعت على الزواج من خارج تكتل المغول مما زاد من قوتهم نظراً لمصاهرتهم مع القبائل القوية .

٣-نلحظ أنهم اتخذوا من الزواج وسيلة لإخضاع أعدائهم وكسب ودهم ،لاسيما مع الصين اذ توثقت علاقتهم بهم بعد الارتباط العائلي بين الدولتين.

٤- سعت الدول المجاورة للمغول إلى توطيد علاقتها معهم خوفا من قوتهم وحفاظا على ممتلكاتهم ،فعبروا عن ذلك برغبتهم بمصاهرتهم .

٥- ساهمت المصاهرات بين المغول والمسيحيين في تحول ديانة بعض حكامهم للمسيحية ،كما توثقت علاقتهم مع الكنيسة .

الهوامش

(١) ويلر جيز ،واخرون ،جغرافية العالم الاقليمية،ص ١٤٧-١٤٨

(٢)الخالدي، العالم الاسلامي ، ص ١٩

(٣)غنيمات، قبائل المغول ،مج٥/ع٣،ص ٩٢-٩٣

(٤)المصدر نفسه،ص٩٤

(٥)بروي،تاريخ الحضارات ،ج٣/٣٦٥

(٦)إبراهيم . العادات المصرية القديمة في العصر ص ٤٧- ٤٨.

(٧)الصياد،المغول في التاريخ،ص٣٥٢

(٨)الجابري ، الخواتين الايلخانيات، ص ٧٨

(٩)صبح الاعشى،ج٤/ ٣١٢

(١٠)الياسا _كلمة مغولية تعني حكم او قاعدة او قانون وهي مجموعة الأحكام التي اقرها جنكيز خان في سنة (٦٠٣هـ)وقد (٦٠٣هـ)وقد اعتمد في سنها على عادات وتقاليد المغول الا انه أضاف عليها قوانين جديدة وأصبحت دستورا ينظم حياة القبائل المغولية .ينظر الجويني ،تاريخ فاتح العالم ،٦١-٦٨ ؛ابن كثير ،البداية والنهاية،ج١٣/١٣٩

(١١)العريني،المغول،ص٣٩

(١٢)المرجع نفسه،ص٤٠

(١٣)الصياد،المغول في التاريخ،ص٩٠

(١٤)التتار كلمة مشتقة من اللغة الصينية (تاتارا)وتعني (تاتا) الجبل اما (ار) فتعني ساكن ،أي ان كلمة (تاتار)بمعنى ساكن الجبل ، أطلقت هذه التسمية على القبائل التي سكنت منطقة منشوريا وشمال شرقي منغوليا .للمزيد ينظر كريم الله ،من هم التتار،ص ٢٥

(١٥)الصياد المغول في التاريخ،ص٩٠

(١٦)مزبان ،اثر القبائل التتارية،ص ٢٢
(١٧)الهمذاني،جامع التواريخ،ج٢/٦٨٧
(١٨)غروسيه ،جنكيز خان قاهر العالم،ص٦٥-٦٦
(١٩)-مزبان، مشاهير النساء في العصر المغولي،ص١١٢٢
(٢٠)مزبان، اثر القبائل التتارية،ص٢٢
(٢١)الهمذاني،جامع التواريخ،ج٢/٦٩-٧٠
(٢٢)الاويرات ،وترد في المصادر بألفاظ مختلفة ،اويراد ،اورياد ،الاويراتية ،وهي من القبائل التركية التي تسمت بالمغولية في وقت متأخر ،وكانت مناطق سكناها الاصلية منابع نهر بنسي غربي منغوليا ،وقد خضعت لحكم جنكيز خان سنة (٦٠٥هـ/١٢٠٨م)،ينظر بارتولد ،تاريخ الترك في أسيا الوسطى ،ص١٥٢
(٢٣)بخيت،المغول في التاريخ ،ص ١٦
(٢٤)الجويني ،تاريخ فاتح العالم ،ج٢/١٤٠
(٢٥)الهمذاني ،جامع التواريخ ،ج٢/٦٧٨
(٢٦)المصدر نفسه،ج٢/٦٧٨
(٢٧)الصياد،الشرق الإسلامي،ص ٤٠٩
(٢٨)الكرايت ،قوم من المغول يسكنون الواحات الشرقية بين صحراء غوبي وجنوب بحيرة بايكال ،للمزيد ينظر،الهمذاني جامع التواريخ،ج١/ص٦٢
(٢٩)بخيت،تاريخ المغول ،ص٢٩
(٣٠)المرجع نفسه،ص١٥
(٣١)مزبان ،عبد الله ،مشاهير النساء المغوليات،ص١١٢٢
(٣٢)المرجع نفسه،١١٢٦
(٣٣)-الهمذاني ،جامع التواريخ،ج١/٥٥٢
(٣٤)المصدر نفسه،ج١/٢٤٤
(٣٥)المصدر نفسه،ج١/٥٦٠
(٣٦) المصدر نفسه،ج١/٥٦٠
(٣٧)الجويني ،تاريخ فاتح،ج٣/١٧
(٣٨)مزبان ، عبد الله، مشاهير النساء المغوليات،ص١١٢٦
(٣٩) الجويني، تاريخ فاتح،ج٣/١٩
(٤٠)ابن العبري،تاريخ مختصر ،ص٢٨٥
(٤١)المصدر نفسه،ص٢٨٦
(٤٢)لم نجد في المصادر المتوفرة لدينا ما يشير الى حالات الزواج داخل القبيلة الواحدة
(٤٣)**الهمذاني ،جامع التواريخ، ج٢/٦٧٨**

(٤٤)الجويني،تاريخ فاتح العالم،ج١/٨٧

(٤٥)الطائي،الدور السياسي والإداري،ص ٣٨٧

(٤٦)الصياد،المغول في التاريخ،ص٥١

(٤٧)عكاشة،إعصار الشرق،ص١٢٢

(٤٨)بعد سقوط بغداد على يد المغول(٦٥٦هـ)تأسست دولة مغول فارس وكان يحكمها هولاكو وأبناؤه من بعده ،وقد اختار مدينة مراغة في أذربيجان عاصمة له وعرفت بالدولة الايلخانية والايلخان تعني نائب الخان وهو ملك المغول ،للمزيد ينظر حيدر ،الايلخان هولاكو،ص٢٠

(٤٩)- الجويني،تاريخ فاتح ،ج١/٨٨

(٥٠)صبح الأعشى ،ج٤/٤٢٦

(٥١)الصياد،الشرق الإسلامي،ص١٢٢

(٥٢)فلح ،تأثر المغول بالإسلام،ص٢٢٨

(٥٣)الصياد ،الشرق الإسلامي ،ص٥٥

(٥٤)عبد الحليم،انتشار الإسلام بين المغول،ص٥٩

(٥٥)عمران ،المغول وأوربا،ص٧٢

(٥٦)الصياد،الشرق الإسلامي،ص٥٥

(٥٧)عمران،المغول وأوربا،ص١٨٧

(٥٨)ابن بطوطة ،الرحلة ،ص٢٢٨

(٥٩)قامت دولة مغول القفجاق بعد ان احتل المغول بلاد القفجاق (اوكرانيا حاليا)،لذا عرفت بهذا الاسم ،وكانت على عداء مع الدولة الايلخانية في بلاد فارس ،للمزيد ينظر ،عمران ،المغول واربا ،ص٤٤

(٦٠)عبد الحليم ،انتشار الإسلام ،ص٥٩

(٦١)المقريزي،المواعظ والاعتبار،ج٥/٧١٢

(٦٢)ضاحي ،مصطاف،الزواج السياسي في عصر المماليك ،ص ١٢٦

(٦٣)ابن تغرى بردي،النجوم الزاهرة،ج٩/٢٧٥

(٦٤)المقريزي، السلوك،ج٤/٢٤١

(٦٥)ابن تغرى بردي، المنهل الصافي ،ج٣/٢٠٠

(٦٦)النويري،نهاية الارب ،ج٧/٦٣

(٦٧)عبد المنعم،سياسة المغول الايلخانين ،٥٩ .

قائمة المصادر والمراجع

*ابن بطوطة ،ابو عبد الله محمد بن عبد الله(ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

١-تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،مطبعة الاستقامة(القاهرة-١٩٦٧)

*-ابن تغرى بردى ،جمال الدين يوسف(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

٢-النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ،وزارة الثقافة والإرشاد (القاهرة -د.ت)

٣-المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ،تح محمد امين ،دار الكتاب (القاهرة-١٩٨٦)

*لجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

٤-تاريخ فاتح العالم ،نقله عن الفارسية محمد التونجي ،دار الملاح للطباعة والنشر (القاهرة-١٩٨٥)

*ابن العبري،غريغوريوس الملطي(ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

٥-تاريخ مختصر الدول ،دار الأفاق العربية (بيروت-٢٠٠١)

*أبو الفداء،الملك المؤيد إسماعيل بن محمد (ت٧٣٢هـ/ ١٣٢٢م)

٦-المختصر في إخبار البشر ،دار البحار للترجمة والتأليف (ل.م-د.ت)

*القلقشندي ،احمد بن علي الفزاري(ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

٧-صبح الأعشى في صناعة الانشا ،تح عبد القادر زكار ،وزارة الثقافة (دمشق- ١٩٨١)

*ابن كثير ،عماد الدين إسماعيل بن عمران (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

٨-البداية والنهاية ،مكتبة المعارف (بيروت- ١٩٧٧)

*المقريزي،تقي الدين احمد بن علي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

٩-السلوك لمعرفة دول الملوك،تصحيح محمد مصطفى ،دار الكتب (القاهرة-د.ت)

١٠-المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ،(القاهرة-١٢٧٠)

*النويري ،شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)

١١-نهاية الارب في فنون الادب ،دار النهضة للطباعة والنشر (القاهرة- ١٩٤٢)

*الهمذاني ،رشيد الدين فضل الله(ت ٧١٨هـ/١٣١٧م)

١٢-جامع التواريخ ،تعريب فؤاد الصياد ،دار النهضة العربية (بيروت_١٩٨٣)

المراجع

*إبراهيم ،سمية حسن محمد

١٣-العادات المصرية القديمة في العصر الإس لامي، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧،

*بارتولد،فاسيلي -فلاديمير دفتش

١٤-تاريخ الترك في اسيا الوسطى ،ترجمة احمد السعيد ،مكتبة الانجلو مصرية(القاهرة -١٩٥٨)

*بخيت ،رجب محمود ابراهيم

١٥-تاريخ المغول وسقوط بغداد ،مكتبة جزيرة الورد للطباعة والنشر (القاهرة-٢٠١٠)

*بروي،أدور

١٦-تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى ،تعريب،يوسف اسعد واغر فريدم داغر،منشورات عويدات (بيروت-١٩٦٥)

*الخالدي،إسماعيل عبد العزيز

١٧-العالم الاسلامي والغزو المغولي ،مكتبة الفلاح (الكويت -د.ت)

*الصياد،فؤاد عبد المعطي

١٨-الشرق الإسلامي في عهد الايلخانين (أسرة هولاكو)(الدوحة-١٩٨٧)

١٩-المغول في التاريخ،دار النهضة العربية (بيروت-١٩٨٠)

*عبد الحليم،رجب

٢٠-انتشار الإسلام بين المغول ،دار النهضة العربية (القاهرة-١٩٨٦)

*عبد المنعم،صبحي

٢١- سياسة المغول الايلخانين تجاه دولة المماليك في مصر والشام

*لعريني ، السيد الباز

٢٢-المغول ،دار النهضة العربية (بيروت-١٩٦٧)

*عكاشة ،ثروت

٢٣-اعصار قادم من الشرق،ط٥، دار الشرق للطباعة والنشر (القاهرة -١٩٩٢)

*عمران ،محمود سعيد

٢٤-المغول واوربا ،دار المعرفة الجامعية (لا.م-١٩٩٧)

*غروسية،رينية

٢٥-جنكيز خان قاهر العالم،تعريب خالد اسعد عيسى ،دار حسان للطباعة والنشر (دمشق-١٩٨٧)

*فهمي ،عبد السلام

٢٦-تاريخ الدولة المغولية في ايران،دار المعارف-(لا.م-١٩٨١)

***كريم الله،ابرار**

٢٧-من هم التتار،تعريب رشيدة رحيم ،الهيئة العامة للطباعة والنشر (القاهرة -١٩٩٤)

الرسائل الجامعية

*حيدر ،عبد الرحمن فرطوس

٢٨-الايلخان هولاكو ودوره في نشأة وقيام الدولة الايلخانية ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب-جامعة بغداد-٢٠٠٣)

*مزبان،إسراء مهدي

٢٩-اثر القبائل التتارية في نشاطات المغول العسكرية (٥١٩-٦٢٤هـ)أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية -جامعة واسط -٢٠١٢

الدوريات

*الجابري،سلام مزعل

٣٠- الخواتين الايلخانيات دراسة في مكانتهن ودورهن السياسي في دولة المغول(٦٥٦- ٧٥٦هـ/ ١٢٥٨-١٣٥٥م) ،مجلة التراث العملي العربي،بيروت٢٠١٦

*ضاحي،فاضل جابر،مصطاف ،ثامر نعمان

٣١-الزواج السياسي عند المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ)مجلة كلية التربية /جامعة واسط العدد الثاني ،٢٠٠٧

*الطائي ،سعاد هادي حسن

٣٢-الدور السياسي والاداري لزوجات خانات المغول خلال العصر العباسي(٦٢٦-٦٥٠هـ/١٢٢٨-١٢٥٢م)سيورقوقتي بيكي ،واغول غاميش انموذجا،مجلة مداد الاداب ،العدد الرابع ،(د.ت)

*غنيمات ،قاسم محمد مزعل ،بنو عيسى ،عبد المعز العمري،عمر بن سليمان

٣٣-قبائل المغول الأولى:النشأة والاندماج والتوحيد ٦١٦هـ/١٢١٨م ،المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ،ع ٣ ،مج ٥،الأردن ٢٠١١

*فلح ،محمد يونس

٣٤-تأثر المغول بالإسلام، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الموصل،العدد التاسع ،مجلد الخامس،٢٠١١